

المفهوم الحقيقى للحياة الأبدية

مقدِّمة

**الحياة الأبدية هى عطية يمنحها الله بإرادته بمقتضى القصد والنعمة للخليقة. وليست هى صفة الحياة الإلهية التى هى إحدى صفات الجوهر الإلهى الخاصة بالثالوث القدوس.**

**سنحاول بنعمة السيد المسيح فى هذا الكتاب أن نوضّح بنصوص كثيرة من الكتاب المقدس معنى وماهية الحياة الأبدية التى يمنحها الرب للمؤمنين، وكيف يتم ذلك. ومتى أُظهرت هذه الحياة فى العهد الجديد، مع أنها كانت فى شجرة الحياة فى الفردوس قبل خروج آدم وحواء من هناك؟**

**كذلك سوف نوضّح التمييز بين حياة الله كصفة أساسية فى جوهره الإلهى، وبين عطية الحياة الأبدية للمؤمنين فى حياة الشركة الروحية مع الله أى مع الآب والابن والروح القدس.**

**ويلزمنا أيضاً توضيح معنى جسد المسيح الخاص المتحد باللاهوت، ومعنى جسده العام أى الكنيسة التى هو رأسها. وفى هذا المجال يلزمنا تقديم عدة أمثلة من الكتاب المقدس نحذّر فيها من خطورة حرفية التفسير للآية الواحدة بعيداً عن سياقها، أو بعيداً عن باقى الآيات التى تشرح نفس الموضوع.**

**نأمل أن يكون فى هذا الكتاب الشرح المطابق للإيمان الرسولى فى كنيستنا؛ وهو الإيمان المسلَّم مرة للقديسين. بصلوات** صاحب القداسة البابا الأنبا تواضروس الثانى **الذى يحرص على وضع دستور لإيمان كنيستنا بتفاصيل واضحة تحت رعاية قداسته وتوجيهاته الأبوية.**

**24 فبراير 2017** بيشوى

**الصوم المقدس مطران دمياط وكفر الشيخ والبرارى**

**ورئيس دير القديسة دميانة بالبرارى**

**ورئيس قسم علم اللاهوت بمعهد الدراسات القبطية**

الباب الأول

الحياة الأبدية

**قال القديس يوحنا الإنجيلى فى الإصحاح الأول من إنجيله عن السيد المسيح:**

**"**فِيهِ كَانَتِ الْحَيَاةُ **وَالْحَيَاةُ كَانَتْ نُورَ النَّاسِ. وَالنُّورُ يُضِيءُ فِي الظُّلْمَةِ وَالظُّلْمَةُ لَمْ تُدْرِكْهُ" (يو 1: 4 ،5).**

**وفى رسالته الأولى قال أيضاً عن السيد المسيح:**

**"الَّذِي كَانَ مِنَ الْبَدْءِ، الَّذِي سَمِعْنَاهُ، الَّذِي رَأَيْنَاهُ بِعُيُونِنَا، الَّذِي شَاهَدْنَاهُ، وَلَمَسَتْهُ أَيْدِينَا،** مِنْ جِهَةِ كَلِمَةِالْحَيَاةِ**. فَإِنَّ** الْحَيَاةَ أُظْهِرَتْ**، وَقَدْ رَأَيْنَا وَنَشْهَدُ وَنُخْبِرُكُمْ** بِالْحَيَاةِ الأَبَدِيَّةِ الَّتِي كَانَتْ عِنْدَ الآبِ وَأُظْهِرَتْ لَنَا**. الَّذِي رَأَيْنَاهُ وَسَمِعْنَاهُ نُخْبِرُكُمْ بِهِ، لِكَيْ يَكُونَ لَكُمْ أَيْضاً شَرِكَةٌ مَعَنَا. وَأَمَّا شَرِكَتُنَا نَحْنُ فَهِيَ مَعَ الآبِ وَمَعَ ابْنِهِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ. وَنَكْتُبُ إِلَيْكُمْ هَذَا لِكَيْ يَكُونَ فَرَحُكُمْ كَامِلاً." (1يو1: 1-4).**

**(تعقيباً على عبارة "شَرِكَتُنَا نَحْنُ فَهِيَ مَعَ الآبِ وَمَعَ ابْنِهِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ" نقول أن الشركة طبعاً هى مع الآب والابن ومع الروح القدس أيضاً وليس مع الآب والإبن فقط، لأن البركة الرسولية التى تُمنح للشعب فى صلوات الكنيسة يقال فيها "وشركة وموهبة وعطية الروح القدس فلتكن مع جميعكم".)**

إن الكلام عن **الحياة الأبدية** كثير فى أسفار الكتاب المقدس فى العهد الجديد. ولكن رأينا تناغماً كثيراً بين ما كتبه بولس الرسول، وما كتبه يوحنا الرسول فى رسائلهما، خاصة ما أوردناه أعلاه فى (1يو: 1-4) فيقول معلمنا بولس الرسول:

"الَّذِي خَلَّصَنَا وَدَعَانَا دَعْوَةً مُقَدَّسَةً، لاَ بِمُقْتَضَى اعْمَالِنَا، بَلْ **بِمُقْتَضَى الْقَصْدِ وَالنِّعْمَةِ** الَّتِي اعْطِيَتْ لَنَا فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ **قَبْلَ الأَزْمِنَةِ الأَزَلِيَّةِ**، وَإِنَّمَا **أُظْهِرَتِ** الآنَ **بِظُهُورِ** مُخَلِّصِنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، الَّذِي أبْطَلَ الْمَوْتَ **وَأَنَارَ الْحَيَاةَ وَالْخُلُودَ** بِوَاسِطَةِ الإِنْجِيلِ" (2تى 1: 9، 10).

**نعود إلى قول القديس يوحنا الإنجيلى فى رسالته الأولى: "**الْحَيَاةِ الأَبَدِيَّةِ **الَّتِي كَانَتْ عِنْدَ الآبِ وَأُظْهِرَتْ لَنَا" هو هنا يتكلم عن السيد المسيح.**

**وحينما قال يوحنا الإنجيلى "الَّذِي سَمِعْنَاهُ، الَّذِي رَأَيْنَاهُ بِعُيُونِنَا، الَّذِي شَاهَدْنَاهُ، وَلَمَسَتْهُ أَيْدِينَا"، يقصد أن التلاميذ حينما كانوا مع السيد المسيح فى تجسده كانوا يتلامسون معه: يسلّمون عليه.. يقبِّلون يده.. إلخ. ولكن بعد القيامة لما قال لهم "اُنْظُرُوا يَدَيَّ وَرِجْلَيَّ: إِنِّي أَنَا هُوَ. جُسُّونِي وَانْظُرُوا فَإِنَّ الرُّوحَ لَيْسَ لَهُ لَحْمٌ وَعِظَامٌ كَمَا تَرَوْنَ لِي" (لو 24: 39)،** هنا عندما لمسوا المسيح القائم من الأموات يعتبر إنهم لمسوا الحياة الأبدية**، لأنه قال فى نفس الفقرة "**الْحَيَاةِ الأَبَدِيَّةِ **الَّتِي كَانَتْ عِنْدَ الآبِ وَأُظْهِرَتْ لَنَا". كما قال معلمنا بولس الرسول "وَلَكِنِ الآنَ قَدْ قَامَ الْمَسِيحُ مِنَ الأَمْوَاتِ وَصَارَ بَاكُورَةَ الرَّاقِدِينَ" (1كو 15: 20).**

**المقصود بكلمة "**الحياة**" فى عبارة "الْحَيَاةِ َأُظْهِرَتْ" هى الحياة التى دُعى إليها الذين آمنوا بالمسيح، والذين ولدوا من فوق، وثبتوا فيه. المقصود بها** الحياة الأبدية **لأن المسيح هو باكورة الراقدين. هذه** الحياة الأبدية **هى فى ملكوت السماوات. والذين سيذهبون إلى ملكوت السماوات هم من سوف يقومون بجسد القيامة الممجد** الذى فيه الحياة الأبدية**. لذلك قال السيد المسيح "أَنَا هُوَ الطَّرِيقُ وَالْحَقُّ وَ**الْحَيَاةُ**" (يو 14: 6).**

**ما الذى يقصده السيد المسيح بقوله "أَنَا هُوَ** الْحَيَاةُ**"؟!! وقول معلمنا بولس الرسول "**لِيَ الْحَيَاةَ هِيَ الْمَسِيحُ**" (في1: 21)؟!! وقوله "**مَتَى **أُظْهِرَ** **الْمَسِيحُ حَيَاتُنَا**، فَحِينَئِذٍ تُظْهَرُونَ أنْتُمْ أيْضاً مَعَهُ فِي الْمَجْدِ" (كو3: 4).

عبارة "**لِيَ الْحَيَاةَ هِيَ الْمَسِيحُ" مقصود بها** الحياة الأبدية التى يمنحها السيد المسيح**، لذلك قال السيد المسيح "مَنْ يَأْكُلْنِي فَهُوَ** يَحْيَا بِي**" (يو 6: 57). وقال "لأَنَّ خُبْزَ اللَّهِ هُوَ النَّازِلُ مِنَ السَّمَاءِ** الْوَاهِبُ حَيَاةً **لِلْعَالَمِ" (يو6: 33). إذن** المقصود بكلمة "الحياة" هنا الحياة الأبدية. **وقالها يوحنا الرسول بعبارة صريحة فى الأصحاح الأول من رسالته الأولى:**

**"فَإِنَّ** الْحَيَاةَ أُظْهِرَتْ**، وَقَدْ رَأَيْنَا وَنَشْهَدُ وَنُخْبِرُكُمْ** بِالْحَيَاةِ الأَبَدِيَّةِ الَّتِي كَانَتْ عِنْدَ الآبِ وَأُظْهِرَتْ لَنَا**" (1يو1: 2).**

**(السيد المسيح فى الثالوث إسمه "ابن الله الوحيد الجنس"، أو إسمه "الله الكلمة"، أو "كلمة الله"، و"الكلمة" ليس مجرد كلام، لكنه أقنوم حقيقى، والمقصود هو أنه العقل الإلهى فى حالة ولادة من الآب العاقل، فى حالة تيار خارج من الينبوع العاقل. فالآب مثلاً له لقب "**الحكيم"**، الابن له لقب "**الحكمة"**، الروح القدس له لقب "**روح الحكمة"**. والحكمة هى صفة من صفات الجوهر الإلهى، كما أن الحياة هى صفة من صفات الجوهر الإلهى.)**

**حينما يتكلم يوحنا عن الحياة الأبدية التى** "كَانَتْ عِنْدَ الآبِ وَأُظْهِرَتْ لَنَا"**،** يقصد الحياة التى أظهرت بقيامة السيد المسيح من الأموات، وقد لمسوه وهو قائم من الأموات**، كما قال "الَّذِي سَمِعْنَاهُ، الَّذِي رَأَيْنَاهُ بِعُيُونِنَا، الَّذِي شَاهَدْنَاهُ،** وَلَمَسَتْهُ أَيْدِينَا، **مِنْ جِهَةِ كَلِمَةِ الْحَيَاةِ...** الْحَيَاةِ الأَبَدِيَّةِ **الَّتِي كَانَتْ عِنْدَ الآبِ وَأُظْهِرَتْ لَنَا". والسيد المسيح قال أنه "خُبْزَ اللَّهِ هُوَ** النَّازِلُ مِنَ السَّمَاءِالْوَاهِبُ حَيَاةً لِلْعَالَمِ**" (يو 6: 33).** الحياة **هنا مقصود بها** الحياة الأبدية**.**

**"مَنْ يَأْكُلْنِي فَهُوَ يَحْيَا بِي**"

**كما قلنا فإن السيد المسيح عندما قال** "**مَنْ يَأْكُلْنِي فَهُوَ يَحْيَا بِي**" (يو 6: 57) كان **يقصد الحياة الأبدية. وقد بيّنها بصورة أوضح عندما قال "مَنْ يَأْكُلُ جَسَدِي وَيَشْرَبُ دَمِي** فَلَهُ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ وَأَنَا أُقِيمُهُ فِي الْيَوْمِ الأَخِيرِ**.... مَنْ يَأْكُلْ جَسَدِي وَيَشْرَبْ دَمِي يَثْبُتْ فِيَّ وَأَنَا فِيهِ" (يو 6: 54، 56).**

**عندما سقط آدم ورثت البشرية الخطية الأصلية والموت، وأيضاً فقدت الحياة الأبدية؛ لأن الهلاك الأبدى للروح والجسد دخل بالخطية وليس فقط الموت الجسدى. لقد فقد آدم الحياة الأبدية وفقد النعمة، ومُنع من أن يأكل من شجرة الحياة. إذ قال الرب الإله "**هُوَذَا الإِنْسَانُ قَدْ صَارَ كَوَاحِدٍ مِنَّا عَارِفاً الْخَيْرَ وَالشَّرَّ. وَالآنَ لَعَلَّهُ يَمُدُّ يَدَهُ **وَيَأْخُذُ مِنْ شَجَرَةِ الْحَيَاةِ أَيْضاً وَيَأْكُلُ وَيَحْيَا إِلَى الأَبَدِ**. فَأَخْرَجَهُ الرَّبُّ الإِلَهُ مِنْ جَنَّةِ عَدْنٍ لِيَعْمَلَ الأَرْضَ الَّتِي أُخِذَ مِنْهَا **فَطَرَدَ الإِنْسَانَ وَأَقَامَ شَرْقِيَّ جَنَّةِ عَدْنٍ الْكَرُوبِيمَ وَلَهِيبَ سَيْفٍ مُتَقَلِّبٍ لِحِرَاسَةِ طَرِيقِ شَجَرَةِ الْحَيَاةِ" (تك 3: 22-24).**

عبارة "يَحْيَا إِلَى الأَبَدِ" عن آدم بعد السقوط تعنى أنه سوف يحيا إلى الأبد فى خطيته لأنه سيأكل من شجرة الحياة قبل أن يتم الفداء. لذلك وضع الله كروبيم بسيف من لهيب نار متقلب لحراسة شجرة الحياة. (يرى البعض أن الإنسان كان يأكل من شجرة الحياة قبل السقوط وقد منعه الله فقط بعد السقوط، والحقيقة أنه لا يوجد نص واضح وصريح يبين هذا الأمر، ولكن الاحتمال وارد).

**هنا ويقول لنا الآباء القديسون أن شجرة الحياة الحالية هى جسد الرب ودمه. يقولون إن الإفخارستيا "هى شجرة الحياة التى لا يموت آكلوها"، لذلك يقول الكاهن فى نهاية القداس عن القدسات }**يعطى عنا خلاصاً وغفراناً للخطايا وحياة أبدية لمن يتناول منه**{. وقول السيد المسيح** "مَنْ يَأْكُلْنِي فَهُوَ **يَحْيَا بِي**" (يو 6: 57) **يعنى أنه هو** شجرة الحياة **الحالية. طبعاً فى الفردوس لم يكن أحد يأكل المسيح لأنه لم يكن قد تجسد بعد ولا أعطانا سر الإفخارستيا، لكن كانت هناك** شجرة الحياة **ومن يأكل منها يحيا إلى الأبد.**

**إن** النعمة وعطية الحياة الأبدية **التى قال عنها يوحنا أنها "**كَانَتْ عِنْدَ الآبِ وَأُظْهِرَتْ لَنَا**" (1يو1: 2) هى فى المسيح بعد السقوط وبعد إتمام الفداء.**

**والقديس يوحنا الإنجيلى فى بداية إنجيله قال "فِيهِ كَانَتِ الْحَيَاةُ" (يو 1: 4) وهو يقصد بذلك أن المسيح حينما يعطينا الخلاص ويؤسس سر الإفخارستيا ويقول "**اِصْنَعُوا هَذَا لِذِكْرِي" (لو 22: 19) أنه **سيكون بعد إتمام الفداء وعمل القداسات والتناول من الأسرار المقدسة هو "**شجرة الحياة التى لا يموت آكلوها**"، التى هى** الحياة الأبدية**، كما قال الآباء القديسون عن التناول.**

هناك أيقونات تصوِّر الصليب أنه شجرة الحياة. لأن المسيح وهو معلق على الصليب وهو خشبة، كان هو شجرة الحياة الخاصة بالعهد الجديد.

لقد منع الرب آدم من أن يأكل من شجرة الحياة لئلا يحيا إلى الأبد فى خطيته، وأقام كاروبيم بسيف نار متقلب الذى يرمز إلى الأب الأسقف والكهنة الذين وكَّل إليهم حراسة الأسرار المقدسة (التناول)؛ فلا يسمحوا لغير التائب بالتناول، ومعلمنا بولس الرسول يقول "أَيُّ مَنْ أَكَلَ هَذَا الْخُبْزَ أَوْ شَرِبَ كَأْسَ الرَّبِّ بِدُونِ اسْتِحْقَاقٍ يَكُونُ مُجْرِماً فِي جَسَدِ الرَّبِّ وَدَمِهِ" (1كو11: 27).

لا يأكل أحد من شجرة الحياة وهو غير مصطلح مع الله، والصلح يكون فى سر التوبة والاعتراف، أو بعد المعمودية مباشرة. لأن فى المعمودية غفران الخطية الأصلية والخطايا التى وقع فيها الشخص قبل العماد لو كان كبيراً وقد اعترف بها. وأثناء صلوات طقس المعمودية نطلب مغفرة الخطايا، ولا يصلى للمعمد الحل بعد إعترافه، لأنه يأخذ الحل تلقائياً فى المعمودية؛ لأن المعمودية هى إتحاد بالمسيح فى موته وقيامته "مَدْفُونِينَ مَعَهُ فِي الْمَعْمُودِيَّةِ، الَّتِي فِيهَا أقِمْتُمْ أيْضاً مَعَهُ بِإِيمَانِ عَمَلِ اللهِ، الَّذِي أقَامَهُ مِنَ الأَمْوَاتِ" (كو2: 12)، وأيضاً قال معلمنا بولس الرسول"لأَنَّ الَّذِي مَاتَ قَدْ تَبَرَّأَ مِنَ الْخَطِيَّةِ" (رو6: 7)**.**

أما إذا أخطأ الإنسان بعد ذلك يتحد بالموت الأبدى فعليه بالتوبة والاعتراف، **وأن يستعد للتناول** لكى يتحد بالحياة الأبدية**.** لأن السيد المسيح نفخ فى وجوه تلاميذه "وَقَالَ لَهُمُ: اقْبَلُوا رُّوحَاً قُدُسَاً" (يو20: 22) فصاروا وكلاء. وهذه النفخة هى موهبة الكهنوت وليست جوهر الروح القدس. ثم قال "مَنْ غَفَرْتُمْ خَطَايَاهُ تُغْفَرُ لَهُ وَمَنْ أَمْسَكْتُمْ خَطَايَاهُ أُمْسِكَتْ" (يو20: 23) فكيف يغفر أو يمسك إن لم يسمع الخطية؟

**فلنجاهد لئلا نضيّع الحياة الأبدية التى نأخذها فى التناول، لأن السيد المسيح قال "مَنْ يَأْكُلْ جَسَدِي وَيَشْرَبْ دَمِي يَثْبُتْ فِيَّ وَأَنَا فِيهِ" (يو6: 56).**

**"فِيهِ كَانَتِ الْحَيَاةُ"**

طبيعة السيد المسيح البشرية لها مواصفات معينة ليس فقط أنه خال من الخطية الأصلية، إنما يقول عنه القديس يوحنا الإنجيلى "**فِيهِ كَانَتِ الْحَيَاةُ** وَالْحَيَاةُ كَانَتْ نُورَ النَّاسِ" (يو1: 4)، وهو متحد باللاهوت، وأيضاً فيه قوة الحياة الأبدية. ليس فقط أن لاهوته فيه **الحياة الإلهية** **الخاصة بالجوهر الإلهى**، لكن ناسوته نفسه فيه قوة الحياة الأبدية. إن كنا نقول عن جسده فى القداس }يعطى عنا خلاصاً وغفراناً للخطايا **وحياة أبدية** لمن يتناول منه{ فناسوته هو شخصياً سواء وهو طفل أو وهو رجل فيه الحياة الأبدية.

ثم يقول القديس يوحنا الإنجيلى عن السيد المسيح "فِيهِ كَانَتِ الْحَيَاةُ وَالْحَيَاةُ كَانَتْ نُورَ النَّاسِ. وَالنُّورُ يُضِيءُ فِي الظُّلْمَةِ وَالظُّلْمَةُ لَمْ تُدْرِكْهُ. كَانَ إِنْسَانٌ مُرْسَلٌ مِنَ اللَّهِ اسْمُهُ يُوحَنَّا. هَذَا جَاءَ لِلشَّهَادَةِ لِيَشْهَدَ لِلنُّورِ لِكَيْ يُؤْمِنَ الْكُلُّ بِوَاسِطَتِهِ. لَمْ يَكُنْ هُوَ النُّورَ بَلْ لِيَشْهَدَ لِلنُّورِ. كَانَ **النُّورُ الْحَقِيقِيُّ** الَّذِي يُنِيرُ كُلَّ إِنْسَانٍ آتِياً إِلَى الْعَالَمِ" (يو 1: 4-9).

السيد المسيح قال "أَنْتُمْ نُورُ الْعَالَمِ" (مت5: 14) لكن هو الوحيد الذى قيل عنه أنه "**النُّورُ الْحَقِيقِيُّ**". نحن نور منعكس من نور السيد المسيح، مثل القمر الذى يأخذ نوره من الشمس ويعكسه مع أن القمر جسم معتم. (حينما تكون الأرض بين القمر والشمس لا نستطيع أن نرى القمر بالرغم من وجوده، فالقمر يدور دورة كاملة حول الأرض وهو ما يسمى بالشهر القمرى؛ وفى يوم 14 من هذا الشهر يكون القمر مكتملاً لأنه يتعامد مع الأرض ومع الشمس فى زاوية قائمة لذلك نراه كاملاً).

لا يوجد أحد قيل عنه أنه "النُّورُ الْحَقِيقِيُّ" سوى السيد المسيح.

**"وَالْحَيَاةُ كَانَتْ نُورَ النَّاسِ"**

لما جاء السيد المسيح إلى العالم أحضر معه النور، لذلك يكمل يوحنا الإنجيلى "وَرَأَيْنَا مَجْدَهُ مَجْداً كَمَا لِوَحِيدٍ مِنَ الآبِ مَمْلُوءاً نِعْمَةً وَحَقّاً" (يو 1: 14). ويقول السيد المسيح أيضاً "أَنَا هُوَ نُورُ الْعَالَمِ. مَنْ يَتْبَعْنِي فلاَ يَمْشِي فِي الظُّلْمَةِ بَلْ يَكُونُ لَهُ نُورُ الْحَيَاةِ" (يو8: 12). فحينما يقول "**الْحَيَاةُ كَانَتْ نُورَ النَّاسِ**" يقصد الحياة التى فى المسيح الذى ظهر. ومعلمنا بولس الرسول يقول "وَبِالإِجْمَاعِ عَظِيمٌ هُوَ سِرُّ التَّقْوَى: اللهُ ظَهَرَ فِي الْجَسَدِ" (1تي3: 16)، لذلك قال "كَانَ النُّورُ الْحَقِيقِيُّ الَّذِي يُنِيرُ كُلَّ إِنْسَانٍ آتِياً إِلَى الْعَالَمِ" (يو1: 9).

أما عن يوحنا المعمدان فيقول "لَمْ يَكُنْ هُوَ النُّورَ بَلْ لِيَشْهَدَ لِلنُّورِ" (يو 1: 8).

لكن هل ظهر السيد المسيح فى تجسده بملء مجده؟ للرد نقول: قديماً حينما طلب موسى أن يرى مجد المسيح عند جبل سيناء قال له: "الْإِنْسَانَ لاَ يَرَانِي وَيَعِيشُ" (خر33: 20). فهو فى تجسده قد أخفى مجده الإلهى، إلا أن مجرد شعاع من هذا المجد ظهر فى جبل التجلى وليس ملء مجده. وإن كان قد ظهر فى التجلى بملء مجده لمات الآباء الرسل بطرس ويعقوب ويوحنا.

يقول السيد المسيح "**مَا دُمْتُ فِي الْعَالَمِ فَأَنَا نُورُ الْعَالَمِ**" (يو9: 5)، وليس المقصود هنا نور مجده الإلهى الموجود به حالياً عن يمين الآب، والذى سوف يراه أبناء القيامة الداخلين إلى ملكوت السماوات بأجساد روحانية لا تموت عندما ترى ذلك المجد. لكن المقصود هنا النور الروحى الذى ظهر به السيد المسيح وكان "مَمْلُوءاً نِعْمَةً وَحَقّاً" (يو1: 14) فكان يغيِّر حياة الخطاة الذين يروه مثل زكا العشار والمرأة الخاطئة وكثيرين.

قال السيد المسيح "مَا دُمْتُ فِي الْعَالَمِ فَأَنَا نُورُ الْعَالَمِ" (يو9: 5)، "أَنَا هُوَ نُورُ الْعَالَمِ. مَنْ يَتْبَعْنِي فلاَ يَمْشِي فِي الظُّلْمَةِ بَلْ يَكُونُ لَهُ نُورُ الْحَيَاةِ" (يو8: 12)، هكذا أيضاً "فِيهِ كَانَتِ الْحَيَاةُ". فالحياة التى جاء لكى يهبها لنا التى قال عنها معملنا بولس الرسول "لأَنَّ لِيَ الْحَيَاةَ هِيَ الْمَسِيحُ" (في1: 21) هى **الحياة الأبدية**.

يقول معلمنا بولس الرسول "مَتَى أُظْهِرَ الْمَسِيحُ حَيَاتُنَا، فَحِينَئِذٍ تُظْهَرُونَ أنْتُمْ أيْضاً مَعَهُ فِي الْمَجْدِ" (كو3: 4).

أما الحياة الخاصة بألوهيته فهذه تخص الآب والابن والروح القدس، ولا يمكن أن يمنحها لنا، وإلا منحنا أيضاً كل صفات الجوهر الإلهى مثل القدرة على كل شئ... وسامحونى أن أقول أن هذا يصير فيه تطاول على الجوهر الإلهى.

**فلنلاحظ حينما نتكلم عن الحياة، أن نفرّق بين الحياة التى تُمنح للبشر وهى الحياة الأبدية، وبين حياة الله نفسه التى ليس لها بداية وهى فوق الزمان وفوق المكان وتخص الجوهر الإلهى فقط مثل بقية صفات الجوهر الإلهى.** **ولا يمكن أن يتساوى أحد مع الله فى صفات الجوهر الإلهى** ومن ضمنها أنه فوق الزمن وقبل الزمن، وأنه قادر على كل شئ؛ مثل الخلق من العدم... إلخ. وسوف نتكلم عن ذلك فى الباب الثانى.

"أَنَا هُوَ الْقِيَامَةُ وَالْحَيَاةُ"

**قال السيد المسيح "أَنَا هُوَ الطَّرِيقُ وَالْحَقُّ وَالْحَيَاةُ" (يو14: 6). وقال أيضاً لمرثا أخت لعازر "**أَنَا هُوَالْقِيَامَةُ وَالْحَيَاةُ**. مَنْ آمَنَ بِي وَلَوْ مَاتَ فَسَيَحْيَا" (يو11: 25). وفى قوله أنا هو القيامة والحياة** ربط بين الحياة الأبدية وبين القيامة.

**ليس فقط الحياة بقيامة الجسد من الموت، لكن بنجاة الإنسان من الهلاك الأبدى. فالحياة ليست مجرد أن يتحرر الجسد من الموت، لكن أن يتحرر الإنسان كله من الهلاك الأبدى. إن الحياة الأبدية تشمل ضمناً القيامة. وإن كانت قيامة لعازر لم تكن هى القيامة المقصودة فى قول يوحنا الرسول "**الْحَيَاةِ الأَبَدِيَّةِ الَّتِي كَانَتْ عِنْدَ الآبِ وَأُظْهِرَتْ لَنَا**" (1يو1: 2)، لكنها كانت عربوناً أن من أقام لعازر هو الذى سوف يقيمنا فى اليوم الأخير. ولذلك قال السيد المسيح "مَنْ يَأْكُلُ جَسَدِي وَيَشْرَبُ دَمِي فَلَهُ** حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ وَأَنَا أُقِيمُهُ فِي الْيَوْمِ الأَخِيرِ**" (يو 6: 54).**

البابا الثانى

التمييز بين حياة الله فى جوهره وعطية الحياة الأبدية

هناك عبارتان فى إنجيل يوحنا قد يحتار البعض عند قراءتهما:

**العبارة الأولى:** "كَمَا أَنَّ الآبَ **لَهُ حَيَاةٌ فِي ذَاتِهِ** كَذَلِكَ أَعْطَى الاِبْنَ أَيْضاً أَنْ تَكُونَ **لَهُ حَيَاةٌ فِي ذَاتِهِ**" (يو 5: 26).

هذه عبارة واضحة جداً. والمقصود بها أن الحياة هى صفة من صفات الجوهر الإلهى. ومن صفات الجوهر الإلهى أيضاً القدرة على كل شئ، ومن صفاته العقل إلخ. فصفة العقل هى فى الآب والابن والروح القدس، وصفة الحياة هى فى الآب والابن والروح القدس وهذه هى الحياة الإلهية. **فكما أن الآب له حياة فى ذاته أى فى أقنومه الخاص، كذلك أعطى الابن، بالولادة قبل الزمن التى ليس لها بداية أن تكون له حياة فى ذاته أى فى أقنومه الخاص.**

والمقصود بكلمة "أعطى" ليس أنه منحهُ مِنحة إنما أعطاه بالولادة الطبيعية بحسب الجوهر، فالإبن مولود من الآب قبل الدهور بالطبيعة. إن الجوهر الإلهى كله فى الآب وكله فى الابن، ففيه الحياة الإلهية، "كَمَا أَنَّ الآبَ لَهُ حَيَاةٌ فِي ذَاتِهِ كَذَلِكَ أَعْطَى الاِبْنَ أَيْضاً أَنْ تَكُونَ لَهُ حَيَاةٌ فِي ذَاتِهِ" (يو 5: 26).

**العبارة الثانية**: "كَمَا أَرْسَلَنِي الآبُ الْحَيُّ **وَأَنَا حَيٌّ بِالآبِ** فَمَنْ يَأْكُلْنِي فَهُوَ يَحْيَا بِي" (يو 6: 57).

هل عبارة "**أَنَا حَيٌّ بِالآبِ**" تعنى أن الآب يعطى الإبن الحياة بحسب لاهوته؟! بالطبع لا، لأنه قال "كَمَا أَنَّ الآبَ لَهُ حَيَاةٌ فِي ذَاتِهِ كَذَلِكَ أَعْطَى الاِبْنَ أَيْضاً أَنْ تَكُونَ لَهُ حَيَاةٌ فِي ذَاتِهِ" (يو 5: 26). **فهو لا يستمد الحياة من الآب بحسب الجوهر كأقنوم بل أخذها بالولادة الأزلية بحسب الطبيعة.** هذا موضوع يخص الجوهر الإلهى. أما قوله "أَنَا حَيٌّ بِالآبِ" إن أخذناها على أنها تخص لاهوته فإن هذا سوف يعنى أن أقنومه الخاص يستمد الحياة من الآب.

هناك أيضاً من يقولون أن الآب يستمد الحياة من الروح القدس!! هذا منتهى الخلط. لأن الآب هو مصدر الروح القدس المنبثق من الآب.

إن الروح القدس هو مصدر الحياة بالنسبة للخليقة فقط، لذلك نقول فى قانون الإيمان "نعم نؤمن بالروح القدس **الرب المحيى**" فالروح القدس هو محيى الخليقة، وقد قيل وقت الخلق "ورُوحُ اللهِ يَرِفُّ عَلَى وَجْهِ الْمِيَاهِ" (تك 1: 2).

حينما قال السيد المسيح "كَمَا أَرْسَلَنِي الآبُ الْحَيُّ **وَأَنَا حَيٌّ بِالآبِ** فَمَنْ يَأْكُلْنِي فَهُوَ يَحْيَا بِي" (يو 6: 57) هو هنا يتكلم ناسوتياً. إن ناسوته حى بالآب، بمعنى أن فيه **الحياة الأبدية** التى قال عنها يوحنا "فِيهِ كَانَتِ الْحَيَاةُ وَالْحَيَاةُ كَانَتْ نُورَ النَّاسِ" (يو 1: 4).

والدليل على ذلك أن السيد المسيح حينما مُسح من الروح القدس وقال حسب نبوة إشعياء النبى "رُوحُ الرَّبِّ عَلَيَّ لأَنَّهُ مَسَحَنِي" (إش 61: 1 و لو 4: 18) لم يقصد أن لاهوته مُسح بالروح القدس، لأن له وللروح القدس نفس الجوهر الواحد، فلا يمكن أن يمسح الروح القدس لاهوته، وبذلك يكون المقصود بكلمة "مَسَحَنِي" أى مسحه كمسيا مرسل إلى العالم بالولادة من العذراء مريم، ولما وصل إلى سن الثلاثين، سن ممارسة العمل الكهنوتى بحسب الشريعة مسحه الروح القدس، وبعدها قال عنه يوحنا المعمدان لما رأى موقف الظهور الإلهى والمعمودية "وَأَنَا قَدْ رَأَيْتُ وَشَهِدْتُ أَنَّ هَذَا هُوَ ابْنُ اللَّهِ" (يو 1: 34) وأنه المسيا.

هو مُسح بالروح القدس فى نهر الأردن بإعتباره رأس الكنيسة؛ **مُسح ملكاً؛** فهو "مَلِكُ الْمُلُوكِ وَرَبُّ الأَرْبَابِ" (رؤ 19: 16) لكنه مسح بحسب ناسوته. **ومُسح كاهناً؛** وهو رئيس الكهنة الأعظم كقول معلمنا بولس الرسول "فَإِذْ لَنَا رَئِيسُ كَهَنَةٍ عَظِيمٌ قَدِ اجْتَازَ السَّمَاوَاتِ، يَسُوعُ ابْنُ اللهِ" (عب 4: 14). **ومُسح نبياً** وهو بلاهوته خالق الجميع؛ ولكنه تنبأ عن قيامته فى اليوم الثالث مثلما حدث، وتنبأ عن نهاية العالم.

**مُسح ملكاً** لكنه ليس ملكاً عادياً كداود لأن الملاك قال عنه "وَيُعْطِيهِ الرَّبُّ الإِلَهُ كُرْسِيَّ دَاوُدَ أَبِيهِ. وَيَمْلِكُ عَلَى بَيْتِ يَعْقُوبَ **إِلَى الأَبَدِ وَلاَ يَكُونُ لِمُلْكِهِ نِهَايَةٌ**" (لو 1: 32، 33)، وداود وكل ملك آخر لم يملك إلى الأبد.

**ومُسح كاهناً** لأنه بدون التجسد لم يكن من الممكن أن يُمسح كاهناً. لأن معلمنا بولس الرسول يقول أن "كُلَّ رَئِيسِ كَهَنَةٍ **مَأْخُوذٍ مِنَ النَّاسِ** يُقَامُ لأَجْلِ النَّاسِ فِي مَا لِلَّهِ، لِكَيْ يُقَدِّمَ قَرَابِينَ وَذَبَائِحَ عَنِ الْخَطَايَا" (عب 5: 1). ويقول معلمنا بولس الرسول أيضاً "حَيْثُ دَخَلَ يَسُوعُ كَسَابِقٍ لأَجْلِنَا، **صَائِراً عَلَى رُتْبَةِ مَلْكِي صَادَقَ، رَئِيسَ كَهَنَةٍ إِلَى الأَبَدِ**" (عب 6: 20). هو مُسح كاهناً لكن ليس كاهناً عادياً إنما ليصير هو رئيس الكهنة الأعظم لأن ذبيحته هى الذبيحة الوحيدة التى وفَّت العدل الإلهى حقه، والتى كانت موضوع سرور الآب فعلاً، والتى تكفى لغفران خطايا العالم كله. كما كان قداسة البابا شنودة الثالث -نيح الله نفسه ونفعنا بصلواته- يقول: ذبيحة كافية لغفران كل الخطايا، لجميع البشر، فى جميع العصور. بل إن معلمنا بولس الرسول فى رسالة رومية يزيد على ذلك بقوله "لَكِنْ لَيْسَ كَالْخَطِيَّةِ هَكَذَا أَيْضاً الْهِبَةُ" (رو5: 15) أى أن هبة الخلاص ليست بقدر الخطايا فقط لكنها أزيد لأن قيمتها مالانهاية. وكما هو معروف فى الحساب أن أى رقم مخصوم من مالانهاية فالنتيجة تساوى مالانهاية، لأن مالانهاية لا تنقص أبداً. فالذبيحة التى قُدِّمت على الصليب قيمتها مالانهاية لأن الناسوت متحد باللاهوت إتحاداً طبيعياً لذلك فإن قيمة الذبيحة مالانهاية.

هل نحن نشترك فى حياة الله!؟

**المفروض أننا عندما نقوم بتفسير العبارات الموجودة فى الكتاب المقدس وأيضاً فى أقوال الآباء أن نفهمها بطريقة صحيحة ولا نتسرع فى فهم العبارات.**

**من الممكن أن مفسراً يقول بما أن المسيح هو** الحياة **لأنه قال "أنا هو الحياة" (يو 14: 6)، ومعلمنا يوحنا الرسول قال أن "**شَرِكَتُنَا نَحْنُ فَهِيَ مَعَ الآبِ وَمَعَ ابْنِهِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ" (1يو 1: 3)، إذن نحن **نشترك فى حياة الله.**

للرد على ذلك نقول:

إن حياة الله هى صفة من صفات الجوهر الإلهى**.**

**علينا ألا نتعجل فى الاستنتاجات ولا نركب القمم العالية بل نحترس جداً.**

إن حياة الله تخص الله وحده وهى غير مخلوقة. أما الحياة الأبدية فهى عطية بإرادة الله فهى مخلوقة**.** وهناك فرق بين ما يخص الله فى جوهره، وبين ما يمنح كعطية بمقتضى القصد والنعمة (أنظر 2تى 1: 9).

والبعض يقول أن الله يعطينا حياته الإلهية. وهذا خطأ لأن الحياة الإلهية خاصة بالجوهر الإلهى، هى صفة من صفات الجوهر الإلهى وهى فى الآب والابن والروح القدس. نحن **لا نقول أنه يعطينا حياته الإلهية إنما نقول أنه يعطينا الحياة الأبدية التى هو أصلها، أى ينبوعها**.

**فى سر الإفخارستيا نحن نتحد بالمسيح، لكن لا نتحد بجوهره الإلهى، ولا بجوهره البشرى المتحد باللاهوت، إنما** **نتحد به على مستوى الطاقة أى أننا نتحد بالحياة الأبدية**، لذلك يقول الكاهن فى الإعتراف الأخير {يعطى عنا خلاصاً وغفراناً للخطايا **وحياة أبدية** لمن يتناول منه}.

**"نَفَخَ فِي أَنْفِهِ نَسَمَةَ حَيَاةٍ"**

كتب فى سفر التكوين "وَجَبَلَ الرَّبُّ الإِلَهُ آدَمَ تُرَاباً مِنَ الأَرْضِ وَنَفَخَ فِي أَنْفِهِ نَسَمَةَ حَيَاةٍ. فَصَارَ آدَمُ نَفْساً حَيَّةً (تك2: 7). هذه النسمة هى **الحياة للجسد أى النفس** (النفس هى الدورة الدموية والتنفس والحياة الحاسة فى الجسد) وهى موجودة فى الإنسان والحيوان، لكن الإنسان يتفوق على الحيوان بوجود **الروح العاقل** فى طبيعته البشرية "فِي النَّاسِ رُوحاً وَنَسَمَةُ الْقَدِيرِ تُعَقِّلُهُمْ" (أي32: 8). إذن عندما نفخ الله فى أنف آدم نسمة الحياة أعطاه أيضاً **الروح**.

ويقول معلمنا بولس الرسول "لْتُحْفَظْ رُوحُكُمْ وَنَفْسُكُمْ وَجَسَدُكُمْ كَامِلَةً بِلاَ لَوْمٍ عِنْدَ مَجِيءِ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ" (1تس5: 23).إذن الإنسان له روح ونفس وجسد أماالحيوان فله جسد ونفس فقط. **الإنسان** **عنده روح عاقل خالد**، ونحن نعرف أن أرواح البشر الأبرار حالياً فى الفردوس والأشرار فى الجحيم.

البعض يقولون أن الله أعطى آدم فى النفخة الروح القدس وليس روحاً بشرياً. معنى هذا أن روح آدم هو الروح القدس وبهذا يكون آدم هو الروح القدس!! هذا كلام لا يقبله أحد.

ولكن ثالث شئ أعطاه الله لآدم فى النفخة هو **النعمة بالروح القدس** وهذه النعمة فارقته بعدما أكل من شجرة معرفة الخير والشر. لقد فارقت النعمة روحه وفارقت جسده أيضاً. إن النعمة هى طاقة إلهية مثلما قيل عن معلمنا بولس الرسول أنه "امْتَلأَ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ" (أع13: 9)بعد أن مُسح بالروح القدس. ويقول الكتاب "لاَ تُحْزِنُوا رُوحَ اللهِ الْقُدُّوسَ الَّذِي بِهِ خُتِمْتُمْ لِيَوْمِ الْفِدَاءِ" (أف4: 30).

إذن لا يوجد مانع أن يكون الروح القدس قد سكن فى آدم. فمعلمنا بولس الرسول يقول "وَأَمَّا أَنْتُمْ فَلَسْتُمْ فِي الْجَسَدِ بَلْ فِي الرُّوحِ إِنْ كَانَ رُوحُ اللهِسَاكِناً فِيكُمْ. وَلَكِنْ إِنْ كَانَ أَحَدٌ لَيْسَ لَهُ رُوحُ الْمَسِيحِ فَذَلِكَ لَيْسَ لَهُ" (رو8: 9). "أَمَا تَعْلَمُونَ أَنَّكُمْ هَيْكَلُ اللهِ وَرُوحُ اللهِ يَسْكُنُ فِيكُمْ" (1كو 3: 16).

الله لم يعط آدم جوهره الإلهى، لكن أعطاه **النعمة التى تحمل معها الحياة الأبدية**. وداود النبى يقول "رُوحَكَ الْقُدُّوسَ لاَ تَنْزِعْهُ مِنِّي" (مز50: 11).وقد مُسح داود بدهن المسحة بواسطة صموئيل النبى، مُسح ملكاً ونبياً أيضاً (أنظر مت 22: 43). لكن الروح القدس الذى كان يُمنح للملوك والأنبياء يختلف عن سكنى الروح القدس الذى يُعطى فى سر المسحة المقدسة فى العهد الجديد. فقوله "أَنَّكُمْ هَيْكَلُ اللهِ وَرُوحُ اللهِ يَسْكُنُ فِيكُمْ" لم تكن موجودة فى العهد القديم. الروح القدس فى العهد الجديد يعطى مواهب (أنظر 1كو 12: 7-10)، ويعطى ثمار "وَأَمَّا ثَمَرُ الرُّوحِ فَهُوَ: مَحَبَّةٌ فَرَحٌ سَلاَمٌ، طُولُ أَنَاةٍ لُطْفٌ صَلاَحٌ، إِيمَانٌ. وَدَاعَةٌ تَعَفُّفٌ. ضِدَّ أَمْثَالِ هَذِهِ لَيْسَ نَامُوسٌ" (غل 5: 22، 23).إذن سكنى الروح القدس فى الأنبياء والملوك الممسوحين فى العهد القديم يختلف عن سكناه فى المؤمنين فى العهد الجديد.

لذلك لا أنكر كما قلنا أن الروح القدس قد سكن فى آدم بالنسمة التى أعطاها الله له بالصورة التى تجعله يمنحه أيضاً **الحياة الأبدية**، التى نأخذها نحن فى المعمودية مع حالة الولادة الجديدة والبنوة لله، ونأخذ تثبيتاً فى سر المسحة المقدسة (سر التثبيت)، ونجددها بقوة ونمسك ونثبت فيها فى سر التناول المقدس بعد التوبة والاعتراف بالخطايا ونيل الحل الكهنوتى إستعداداً للتناول.

الباب الثالث

عبارات كتابية لا تؤخذ بالمعنى الحرفى

**توجد عبارات فى الكتاب المقدس لا ينبغى أن تُفهم بطريقة حرفية أو منفصلة عن سياق الكلام أو عن باقى تعليم الكتاب. ونورد بعض الأمثلة التى لها علاقة بموضوعنا:**

أولا: "لاَ تَتَغَاضَى عَنْ لَحْمِكَ"

**يقول الرب على فم إشعياء النبى: "**أَلَيْسَ هَذَا صَوْماً أَخْتَارُهُ: حَلَّ قُيُودِ الشَّرِّ. فَكَّ عُقَدِ النِّيرِ وَإِطْلاَقَ الْمَسْحُوقِينَ أَحْرَاراً وَقَطْعَ كُلِّ نِيرٍ. **أَلَيْسَ أَنْ تَكْسِرَ لِلْجَائِعِ خُبْزَكَ وَأَنْ تُدْخِلَ الْمَسَاكِينَ التَّائِهِينَ إِلَى بَيْتِكَ؟ إِذَا رَأَيْتَ عُرْيَاناً أَنْ تَكْسُوهُ** وَأَنْ لاَ تَتَغَاضَى عَنْ لَحْمِكَ**" (إش 58: 6-7).**

ما المقصود بعبارة "لاَ تَتَغَاضَى عَنْ لَحْمِكَ"؟

**إن الطبيعة البشرية كلها مأخوذة من آدم، حتى حواء نفسها مأخوذة من آدم أيضاً، لذلك كُتب فى سفر التكوين: "فَقَالَ آدَمُ** هَذِهِ الآنَ عَظْمٌ مِنْ عِظَامِي وَلَحْمٌ مِنْ لَحْمِي**. هَذِهِ تُدْعَى امْرَأَةً لأَنَّهَا مِنِ امْرِءٍ أُخِذَتْ" (تك 2: 23). إن الجنس البشرى كله مأخوذ فعلاً من آدم، وحتى السيد المسيح لم يأخذ طبيعته البشرية من خارج طبيعة آدم، وإن كان لما أخذها من العذراء مريم بالروح القدس أخذها خالية من الخطية، وجعل ناسوته واحداً مع لاهوته، كما يقول الإنجيل "وَالْكَلِمَةُ صَارَ جَسَداً وَحَلَّ بَيْنَنَا" (يو 1: 14)، بمعنى أنه اتخذ جسداً، لكنه لم يتخذ مجرد جسد وإنما ناسوت كامل أى جسد بشرى بروح عاقل بلا خطية. هذا الناسوت الذى إتخذه الله الكلمة فيه خصائص فائقة للطبيعة، والاتحاد بين الناسوت واللاهوت هو بدون اختلاط ولا امتزاج ولا تغيير.**

**عبارة** "لاَ تَتَغَاضَى عَنْ لَحْمِكَ" **هى مثال لعدم الأخذ بحرفية المعنى. هذه إستعارة ولا تؤخذ بمعنى حرفى. فالرجل العريان أو الجائع بالنسبة للشخص الذى يقول له الله هذه الوصية، ليس هو طبعاً لحمه الشخصى بالفعل. إذن كلمة "لحمك" تعنى شريك فى الطبيعة البشرية المأخوذة من آدم (والتى اشترك فيها أيضاً السيد المسيح بلا خطية متحداً باللاهوت). فكلمة "لحمك" هى كلمة نسبية أو مجازية، بمعنى من له لحم من الأصل الذى أخذت أنت منه. أى تربطك به علاقة تختلف عن علاقتك بلحم البقر الموجود فى الحظيرة، أو لحم الببغاء الذى فى القفص. إذن كلمة "لحمك" ليس المقصود بها لحمه الشخصى إنما المقصود هو أن هناك علاقة تربط البشر ببعضهم البعض. الله يريد أن يقول أن هذا هو أخوك فى الإنسانية، فحينما تراه عرياناً أو جوعاناً ترق له، لأنه إن كان الكتاب يقول "الصِّدِّيقُ يُرَاعِي نَفْسَ بَهِيمَتِهِ" (أم 12: 10) فكم بالأولى شريكه فى الطبيعة البشرية.**

**كمثال نقول أنه من الممكن أن يوجد قديس ومحب للفقراء جداً، ويوجد فقير لكنه لم يتب بعد ويحتاج أن يتطهر بالتوبة، فلا نقدر أن نقول أن لحمه هو لحم القديس الشخصى. هناك فقراء قديسين لكن إن وجد فقير لا يعيش فى حياة التوبة والقداسة ففى هذه الحالة؛ فإن القديس الذى يطلب الله منه أن يتصدق على الفقير ويتصدق فعلاً، فإن لحمه هو سوف يقوم بجسد ممجد أما الآخر الذى لا يعيش حياة التوبة فلن يكون له جسد ممجد فى القيامة إن لم يتب. وطبعاً العكس صحيح بالنسبة لحالة كلٍ منهما.**

**إذن ليس هناك بُعد الارتباط الشخصى.. لابد أن نفهم العبارة دون توسع فى المعنى لدرجة التطابق.**

ثانياً: جسد المسيح

**مثال آخر هو أننا عندما نقول أن أعضاء الكنيسة المولودين من الماء والروح أصبحوا أعضاء فى جسد المسيح أى الكنيسة. ويقول معلمنا بولس الرسول "**جَسَدٌ وَاحِدٌ**، وَرُوحٌ وَاحِدٌ، كَمَا دُعِيتُمْ أَيْضاً فِي رَجَاءِ دَعْوَتِكُمُ الْوَاحِدِ. رَبٌّ وَاحِدٌ، إِيمَانٌ وَاحِدٌ، مَعْمُودِيَّةٌ وَاحِدَةٌ" (أف4: 4، 5). ولكن يشترك فى الوحدانية فى جسد المسيح جماعة المؤمنين السالكين حسب الوصية ويمارسون أسرار الكنيسة.**

**نحن أعضاء الكنيسة جسد واحد، لكن، حينما نصلى طقس الإكليل المقدس لرجل وإمرأة يصيران** جسداً واحداً **كما قال السيد المسيح "**وَيَكُونُ الاِثْنَانِ **جَسَداً وَاحِداً**. إِذاً لَيْسَا بَعْدُ اثْنَيْنِ بَلْ **جَسَدٌ وَاحِدٌ**" (مر 10: 8)، وقال **"مِنْ أَجْلِ هَذَا يَتْرُكُ الرَّجُلُ أَبَاهُ وَأُمَّهُ وَيَلْتَصِقُ بِامْرَأَتِهِ وَيَكُونُ الاِثْنَانِ** جَسَداً وَاحِداً**" (مت 19: 5).**

**إذن كل رجل وامرأته هما جسد واحد، وهذا الرجل هو جسد واحد بمعنى آخر مع باقى الرجال الموجودين فى الكنيسة فهل كل الرجال الموجودين فى الكنيسة هم جسد واحد مع إمرأته شخصياً، بنفس المعنى الخاص بكونه هو جسد واحد مع إمرأته؟!! وهل كل الرجال الموجودين فى الكنيسة متزوجين من كل السيدات الموجودين فى الكنيسة؟!!! إذن يوجد أكثر من مفهوم لعبارة الجسد الواحد. مفهوم عام ومفهوم خاص آخر. أقول هذا كمثال فقط لتوضيح أننا لابد أن نفهم عبارة "جَسَدٌ وَاحِدٌ**" **بطريقة صحيحة عندما نتكلم عن جماعة المؤمنين.**

**والمسيح قيل عنه إن الآب** "إِيَّاهُ جَعَلَ رَأْساً فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ لِلْكَنِيسَةِ، الَّتِي هِيَ جَسَدُهُ**" (أف 1: 22، 23). الكنيسة التى هى جسده شئ. وجسده الخاص جداً الذى ولد من العذراء مريم متحداً باللاهوت شئ آخر. الكنيسة التى هى جسده ليست متحدة باللاهوت وليست جسده الذى ولد من العذراء القديسة مريم وصلب وقام، لكن أعضاء الكنيسة مولودون ولادة جديدة، وممسوحون بالروح القدس فى سر المسحة المقدسة، ويتحدون بالمسيح فى الإفخارستيا.**

**هل عندما نتحد بالمسيح فى سر الإفخارستيا نصير نحن المسيح أو نصير جسده الشخصى؟!! ما هو هذا الإتحاد؟** هل يصير لنا نفس ناسوت المسيح المتحد باللاهوت؟

**هناك من يدَّعون أنهم يصيرون المسيح عندما يتناولون من الأسرار المقدسة!! لماذا هذا التعالى والمغالاه فى التفكير؟!**

**نعم نحن نتحد بالمسيح لكن لا نتحد إتحاداً جوهرياً بناسوته أو إتحاداً جوهرياً بلاهوته وإلا صرنا المسيح نفسه فعلاً. ولكننا سوف نوضّح طبيعة هذا الاتحاد الذى بحسب الطاقة وليس حسب الجوهر.**

كيف نتحد بالمسيح فى الإفخارستيا:

**فى سر الإفخارستيا نحن نتحد** بالحياة الأبدية **التى يمنحها الله لأعضاء جسده، لأنه قال "**أَنَا هُوَ الْخُبْزُ الْحَيُّ الَّذِي نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ. إِنْ أَكَلَ أَحَدٌ مِنْ هَذَا الْخُبْزِ **يَحْيَا إِلَى الأَبَدِ**. وَالْخُبْزُ الَّذِي أَنَا أُعْطِي هُوَ جَسَدِي الَّذِي أَبْذِلُهُ مِنْ أَجْلِ حَيَاةِ الْعَالَمِ" (يو 6: 51). وقال أيضاً **"مَنْ يَأْكُلْنِي فَهُوَ يَحْيَا بِي" (يو 6: 57).**

**إذن الاتحاد بالمسيح فى الإفخارستيا هو** اتحاد بالحياة الأبدية**. وهذه هى آخر عبارة يقولها الكاهن فى القداس الإلهى: {يعطى عنا خلاصاً وغفران للخطايا** وحياة أبدية لكل من يتناول منه**}. فلماذا نطمع فيما هو أزيد من ذلك؟!**

**نعم نحن جسد المسيح لكن بمعنى معيَّن وهو أننا أعضاء فى جسده بالمعنى العام الذى هو الكنيسة. لكن المسيح ليس هو عضو فى الكنيسة لكنه** هورأس الكنيسة **كما يقول معلمنا بولس الرسول "وَإِيَّاهُ جَعَلَ رَأْساً فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ لِلْكَنِيسَةِ** الَّتِي هِيَ جَسَدُهُ**" (أف 1: 22، 23). "**جَسَدُهُ**" المذكور هنا ليس هو جسده الإفخارستى الذى يقول عنه الكاهن فى القداس: {أؤمن أؤمن أؤمن وأعترف إلى النفس الأخير أن هذا هو** الجسد المحيى **الذى أخذه إبنك الوحيد من سيدتنا وملكتنا كلنا والدة الإله}. نحن نؤمن فعلاً ككنائس رسولية أن هذا هو جسد حقيقى ودم حقيقى تحت أعراض الخبز والخمر الممزوج بالماء. الخبز لا يتحول إلى لحم ولا الخمر الممزوج يتحول إلى هيموجلوبين، ولكنه يتحول إلى جسد المسيح الحقيقى ودمه الحقيقى** لأن المسيح كاهن إلى الأبد على طقس ملكى صادق **الذى قدّم تقدمته أمام أب الآباء إبراهيم خبزاً وخمراً (أنظ تك 14: 18).**

**لابد أن نفهم أن عبارة "**جسد المسيح**" هى عبارة عامة لها ثلاث معانى:**

1. جسده المتحد باللاهوت**: المولود من العذراء مريم والذى صُلب وقام وصعد إلى السموات.**
2. جسده الموجود فى القداس الإلهى**: وهو نفسه الجسد الموجود فى المعنى الأول وممنوح بحسب وصيته من خلال سر الإفخارستيا. وهو الذى قال عنه هو بنفسه "**خُذُوا كُلُوا. **هَذَا هُوَ جَسَدِي**" (مت 26: 26)، وعن الكأس قال "**هَذِهِ الْكَأْسُ هِيَ الْعَهْدُ الْجَدِيدُ بِدَمِي** الَّذِي يُسْفَكُ عَنْكُمْ" (لو 22: 20). هو قال هذا دمى الذى يسفك وقال هذه الكأس هى العهد الجديد بدمى. فهو ليس رمزاً كما يقول البعض وإلا كان العهد الجديد نفسه هو رمز. **هذه الكأس التى بها دمه (وليس الكأس الفارغ طبعاً) هى العهد الجديد**. والمقصود الكأس بعد التقديس بحلول الروح القدس. لاهوت الإبن الكلمة يتحد بالخمر الممزوج بالماء الذى فى داخل الكأس، مثل ما خرج من جنبه لما طعن بالحربة. وقد أوصى السيد المسيح تلاميذه القديسين فى سر العشاء الربانى عن جسده ودمه الأقديسن وقال "اِصْنَعُوا هَذَا لِذِكْرِي" (لو 22: 19).
3. جسده بمعنى الكنيسة**: لكن هذا المعنى مختلف تماماً عن المعنيين الأولين.**

**فى المعنيين الأولين هو الجسد الحقيقى الذى ولد من العذراء وكبر، وبشّر، وصُلب، وقُبر، وقام، وصعد، وسوف يأتى فى المجيئ الثانى**. ولذلك يقول معلمنا بولس الرسول "كَأْسُ الْبَرَكَةِ الَّتِي نُبَارِكُهَا أَلَيْسَتْ هِيَ شَرِكَةَ دَمِ الْمَسِيحِ؟ الْخُبْزُ الَّذِي نَكْسِرُهُ أَلَيْسَ هُوَ شَرِكَةَ جَسَدِ الْمَسِيحِ" (1كو 10: 16)، تحت أعراض الخبز والخمر لكنه فعلاً جسد حقيقى وليس رمزاً.

أما فى المعنى الثالث فهو يخص أعضاء الجسد أى **الكنيسة**؛ كما كان **مثلث الرحمات البابا شنودة الثالث** ينبه ويقول أن الكنيسة بها أعضاء لم يولدوا بعد، وأعضاء قديسين، وأعضاء بعدما "اسْتُنِيرُوا مَرَّةً، وَذَاقُوا الْمَوْهِبَةَ السَّمَاوِيَّةَ وَصَارُوا شُرَكَاءَ الرُّوحِ الْقُدُسِ، وذَاقُوا كَلِمَةَ اللهِ الصَّالِحَةَ، وَقُوَّاتِ الدَّهْرِ الآتِي، **وَسَقَطُوا**" (عب 6: 4-6) هؤلاء إن لم يتوبوا فسوف يقطعون من شركة الجسد بمعنى الكنيسة؛ كما قال السيد المسيح "كُلُّ غُصْنٍ فِيَّ لاَ يَأْتِي بِثَمَرٍ **يَنْزِعُهُ** وَكُلُّ مَا يَأْتِي بِثَمَرٍ يُنَقِّيهِ لِيَأْتِيَ بِثَمَرٍ أَكْثَرَ" (يو 15: 2). بمعنى أن الشخص حينما يكون عضواً صالحاً فى جسد المسيح لكنه سقط ولم يتب، ولم يرجع إلى "الْقَدَاسَةَ الَّتِي بِدُونِهَا لَنْ يَرَى أَحَدٌ الرَّبَّ" (عب 12: 14)؛ لن يظل عضواً فى الجسد فيما بعد. فالجسد الذى يزيد وينقص ليس هو جسد الرب الشخصى لكنه جسد إعتبارى. كما أوضحنا أن الكنيسة كلها جسد واحد أما الرجل والمرأة فى سر الزيجة فلهما جسد واحد بمفهوم آخر حتى وإن كانا أعضاء فى الجسد العام بمعنى الكنيسة.

**ثالثاً: "فَبِي فَعَلْتُمْ"**

أحياناً نقرأ كتابات لأحد الآباء الأولين عن العطف على الفقراء يقول فيها مثلاً إنك حينما تعطف على الفقير فإنك تعطف على جسد المسيح. هذا المعنى **مجازى** بإعتبار أن هذا الفقير هو عضو فى جسد المسيح وليس المسيح نفسه طبعاً. السيد المسيح قال "الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: بِمَا أَنَّكُمْ فَعَلْتُمُوهُ بِأَحَدِ إِخْوَتِي هَؤُلاَءِ الأَصَاغِرِ فَبِي فَعَلْتُمْ" (مت 25: 40). **فهل معنى هذا أن أى فقير هو المسيح شخصياً**؟! **طبعاً لا؛ ولكن هو معنى مجازى لا يؤخذ بطريقة حرفية**. هل لأن السيد المسيح قال "فَبِي فَعَلْتُمْ" هذا يجعلنا بعد أن نعطى صدقة لفقير مثلاً، أو إذا زار الكاهن مريضاً نقول له نسجد لك أيها المسيح إلهنا مع أبيك الصالح والروح القدس؟! الفقير أو المريض أو المحتاج ليس هو المسيح شخصياً، لكن الغرض من القول أن من يسيئ معاملة إخوة الرب الأصاغر يسئ إلىَّ كما قال للآباء الرسل "الَّذِي يَسْمَعُ مِنْكُمْ يَسْمَعُ مِنِّي والَّذِي يُرْذِلُكُمْ يُرْذِلُنِي والَّذِي يُرْذِلُنِي يُرْذِلُ الَّذِي أَرْسَلَنِي" (لو 10: 16). طالما إنسان أرسله السيد المسيح فإن أهنته يعتبر أنك أهنت من أرسله. **لو أخذنا كل عبارة بطريقة حرفية سوف تخرب العقيدة كلها.**

لا أقدر أن أقول أن يوحنا الحبيب -مع محبتى الشديدة جداً له- أنه هو المسيح، مع أن المسيح قال له ضمن باقى الآباء الرسل "الَّذِي يَسْمَعُ مِنْكُمْ يَسْمَعُ مِنِّي والَّذِي يُرْذِلُكُمْ يُرْذِلُنِي والَّذِي يُرْذِلُنِي يُرْذِلُ الَّذِي أَرْسَلَنِي" (لو 10: 16). حينما مزج سابيليوس أشخاص الأقانيم وقال أن الابن هو الآب حرمته الكنيسة فى المجمع المسكونى الثانى سنة 381م؛ مع أن الابن والآب واحد فى الجوهر لكن الكنيسة لم تقبل ما قاله؛ لماذا؟ لأن الآب والد، والابن مولود، والروح القدس منبثق. فحينما قال أن الآب هو الابن هو الروح القدس فهو بذلك دمَّر عقيدة الثالوث بجعله الثلاثة أقانيم أقنوماً واحداً. إن **خصوصية كل شخص** تجلعنا لا نقبل مزج الأمور فلا نقول أن الفقير هو المسيح، لأن "مَنْ يَرْحَمُ الْفَقِيرَ يُقْرِضُ الرَّبَّ وَعَنْ مَعْرُوفِهِ يُجَازِيهِ" (أم 19: 17).

لابد أن تؤخذ العبارات بفهم ولا تؤخذ بطريقة حرفية وإلا سوف تؤدى إلى نتائج خطيرة جداً. إن حرفية تطبيق النص خطيرة جداً. لابد أن تؤخذ العبارات بمنتهى الحذر. إن قال أحد الآباء تأمل بأنك إن لم تحن على الفقير فأنت لم تحن على جسد المسيح، **هو يقصد بهذا معنى مجازى** وليس طبعاً أن جسد الفقير هو الجسد الإلهى المتحد باللاهوت الذى صنع الفداء للعالم كله.

**رابعاً:** **"مِنْ لَحْمِهِ وَمِنْ عِظَامِهِ"**

هناك عبارة أخرى يستخدمها البعض بطريقة غير صحيحة إستناداً إلى قول معلمنا بولس الرسول "**لأَنَّنَا أَعْضَاءُ جِسْمِهِ، مِنْ لَحْمِهِ وَمِنْ عِظَامِهِ**" (أف 5: 30). فيستنتجون من هذه العبارة أننا نحن جسد الرب المتحد باللاهوت. هذه العبارة هى مثلما قال آدم عن حواء "هَذِهِ الآنَ عَظْمٌ مِنْ عِظَامِي وَلَحْمٌ مِنْ لَحْمِي" (تك 2: 23). لقد إتخذ السيد المسيح طبيعة بشرية حقيقية ولذلك أخذ لقب آدم الثانى لكن هذه الطبيعة البشرية الحقيقية التى إتخذها لها وضعها الخاص. حينما قال معلمنا بولس الرسول "لأَنَّنَا أَعْضَاءُ جِسْمِهِ، مِنْ لَحْمِهِ وَمِنْ عِظَامِهِ" (أف 5: 30) **هو يريد أن يقول أن المسيح اشترك معنا فى الطبيعة البشرية** "فَإِذْ قَدْ تَشَارَكَ الأَوْلاَدُ فِي اللَّحْمِ وَالدَّمِ **اشْتَرَكَ هُوَ أَيْضاً كَذَلِكَ فِيهِمَا**، لِكَيْ يُبِيدَ بِالْمَوْتِ ذَاكَ الَّذِي لَهُ سُلْطَانُ الْمَوْتِ، أَيْ إِبْلِيسَ وَيُعْتِقَ أُولَئِكَ الَّذِينَ خَوْفاً مِنَ الْمَوْتِ كَانُوا جَمِيعاً كُلَّ حَيَاتِهِمْ تَحْتَ الْعُبُودِيَّةِ" (عب 2: 14-15). فعبارة من لحمه ومن عظامه المقصود بها نفس معنى أنه إشترك معنا فى اللحم والدم أى إشترك فى طبيعتنا البشرية لكن بمواصفات معينة كلنا نعلمها مثل خلو ناسوته المتخَّذ من الخطية الأصلية وإتحاده إتحاداً جوهرياً، طبيعياً، أقنومياً بلاهوته.

حينما خلق الله حواء قال آدم **"هَذِهِ الآنَ عَظْمٌ مِنْ عِظَامِي وَلَحْمٌ مِنْ لَحْمِي.** هَذِهِ تُدْعَى امْرَأَةً لأَنَّهَا مِنِ امْرِءٍ أُخِذَتْ" (تك 2: 23).

إن هناك نوعاً من التشابه resemblance بين علاقة السيد المسيح بالكنيسة (بإعتبارها عروس المسيح الروحية)، وعلاقة آدم بحواء. وقد كان فى ذهن معلمنا بولس الرسول طبعاً هذ العبارة التى قالها آدم عن حواء أنها لحم من لحمه وعظم من عظامه، لذلك يحاول أن يبيّن أن المؤمنين يصيرون جسد المسيح بالمعنى العام، الذى قال عنه **"**وَأَخْضَعَ كُلَّ شَيْءٍ تَحْتَ قَدَمَيْهِ، **وَإِيَّاهُ جَعَلَ رَأْساً فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ لِلْكَنِيسَةِ، الَّتِي هِيَ جَسَدُهُ"** (أف1: 22، 23). إذن حينما نقول أن الكنيسة هى جسد المسيح لا يكون المقصود هو جسده الذى ولد من العذراء مريم وصلب على الصليب، لكن **الكنيسة هى جسده بالمعنى الاعتبارى**، فى أن المؤمنين كما قال لهم معلمنا بولس الرسول لكى يصيروا "**جَسَدٌ وَاحِدٌ**، وَرُوحٌ وَاحِدٌ، كَمَا دُعِيتُمْ أَيْضاً فِي رَجَاءِ دَعْوَتِكُمُ الْوَاحِدِ. رَبٌّ وَاحِدٌ، إِيمَانٌ وَاحِدٌ، مَعْمُودِيَّةٌ وَاحِدَةٌ" (أف 4: 4، 5).

المؤمنون **يمثلون جسد اعتبارى** فى كيان عام لكن المسيح هو رأس كل شئ. هو ليس أى عضو آخر فى الجسد (يد، قدم، إلخ) لكن كتب "**وَإِيَّاهُ جَعَلَ رَأْساً فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ للكنيسة**" (أف 1: 22)ـ إذاً الكلمة المتجسد فى الجسد العام هو الرأس المتحد باللاهوت ومنه تنحدر الحياة إلى أعضاء الجسد. **لذلك لا يليق أن نقول أن الكنيسة هى جسد إفخارستى لأن هذا يعتبر مزج بين الجسد الإعتبارى والجسد الخاص بالسيد المسيح شخصياً المتحد باللاهوت فى الإفخارستيا.**

**نصيحة ختامية:**

صحبناكم فى رحلة حول تعبيرات فى الكتب المقدسة حسب فكر الآباء، وأود أن أقدّم لكم نصيحة بإختصار: لا تأخذوا حرفية الكلمة لكن نعرف الهدف منها. كما شرحنا عبارة "لاَ تَتَغَاضَى عَنْ لَحْمِكَ" من قال أن الفقير هو لحمى الشخصى. هذا نص كتابى لكن المقصود هو حث للإنسان لكى يشعر بالفقير لأننا شركاء فى الطبيعة البشرية. لا نأخذها حرفياً لكن نفهم المقصود. هكذا أيضاً عبارة "فَبِي فَعَلْتُمْ" (مت 25: 40).

لابد أن يكون الإيمان بشمولية الكتاب المقدس وليس مجرد عبارة واحدة يكون المقصود بها هدف معين.

ليتنا نحترس فى القراءة سواء فى نصوص الكتاب المقدس أو فى أقوال الآباء أو أى قراءات روحية.